

مصر القبطية



إعداد: هشام الجبالي

الغفران
للشؤون

موسم الحج والعمرة

YP

9

V

مرحباً يا صديقائى فى كل بقعة من أرض مصر،
أسمى «نيل» وُجِدَتْ منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب
لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصحاب أجدادكم
القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباكم فى مسيرة العمل
من أجل رقى مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأسى لهزانهم،
أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ما هو مصرى
فأطوف بأرجاء البلاد شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، أبحث عن كل
جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أحث أبنائها على بذل
المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقاً ومستقبلاً يملأه
الرقى والتحضر، أعتدت أن أصحاب الشيخ كثير النشاط والحركة
«تاريخ» كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له
المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها،
لهذا ستجدونى معكم عبر حكايات «تاريخ» وحوادث مصر
وأخبارها.



موسوعة تاريخ مصر

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

الإخراج : المكتب العربى للمعارف

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

التراقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

المحرر : هشام الجبالى

الرسوم الداخلية : علاء حجازى

هانى طه - إيهاب وصفى

المراجعة اللغوية : شوقى ميكل

٩٨٧٧٢
٩٦٢
٢٠
٧٨
✓

مكتبة الإسكندرية

مصر القبطية



إعداد: هشام الجبالي
كتاب عربي
(شراء)

مكتبة الإسكندرية

ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل

٩٧٧٧٨



فى عام ٣٠ قبل
الميلاد تمكّن القائدُ
الرومانى أكتافىوسُ
من حسم الصراعِ
القاسى الذى دار بين
جيوشِهِ وجيوشِ

حقوقِهِمْ فى وجهِ حُكّامِ روما وإن كان
قد تمتّع بعضهم بشيءٍ من الحرصِ
على شئونِ ولاياتِهِم المنتشرةِ على طولِ
سواحلِ البحرِ المتوسطِ كاكثافىوسُ
وهادريانُ وماركُ أوريلىوسُ، فإن
أكثرَهُمْ لَمْ يُظهرْ أىَّ اهتمامٍ يذكرُ
بشئونِ هذه الولاياتِ وحياةِ سكانِها
كنيرونُ وكاليجولا وفسبسيانُ، بينما
اشترك جميعُهُم فى كونِهِم أباطرةً
رومانيينَ جلسوا على عرشِ
الإمبراطوريةِ فلم يَعدُ يشغلُهُم سوى
مستقبلِ مُلكِهِم وصالحِ خزائِنِهِم، حتى
وإن أدنى ذلكِ إلى تدهورِ صورِ الحياةِ
فى الولاياتِ ومن بينها مصرُ التى
ظَلَّتْ وهى درةُ التاجِ الرومانى مجردَ
ولايةٍ تابعةٍ تعملُ من أجلِ روما.

كليوباترا وماركُ أنطونيوسُ حولَ زعامةِ
البحرِ المتوسطِ، ليدبُو انتصارُهُ معلناً
سقوطَ دولةِ البطالمةِ وبدايةَ عهدٍ جديدٍ
فى مصرَ، عهدٍ قُدِّرَ فيه على بلادِ
الفراعنةِ بكلِّ ما تملكُهُ من عراقِةِ
الماضى وثراءِ الحاضرِ أن تتجرّعَ
كنُوسَ التبعيةِ والاحتلالِ.

وعبرَ أكثرَ من مائتى عامٍ تجولنا
معاً فى لقائنا السابقِ بين أخبارِ
بلادِكُم تحتَ الحكمِ الرومانى،
فشاهدتُم معى كيف عانى أجدادُكُم
فى المراعى والمصانعِ والحقولِ من ثقلِ
ما قُدِّرَ عليهم من ضرائبٍ ومافُرضَ
عليهم من أعمالٍ إجباريةٍ، وكيف صار
عليهم أن يشعلوا نيرانَ الثورةِ فى
جَنَباتِ قُرَاهُم ومدنِهِم مدافعينَ عن

ملوك مصر من الإسكندر المقدوني إلى نهاية عصر البطالمة

العاصمة	مدة الحكم		الملك
	إلى	من	
منف	٣٢٣ ق.م.	٣٣٢	الإسكندر المقدوني
الإسكندرية	٣١٦ ق.م.	٣٢٣	فيليب الثالث
الإسكندرية	٣٠٤ ق.م.	٣١٦	الإسكندر الثاني
الإسكندرية	٢٨٤ ق.م.	٣٠٤	بطليموس بن لاغوس
الإسكندرية	٢٤٦ ق.م.	٢٨٤	بطليموس الثاني
الإسكندرية	٢٢١ ق.م.	٢٤٦	بطليموس الثالث
الإسكندرية	٢٠٥ ق.م.	٢٢١	بطليموس الرابع
الإسكندرية	١٨٠ ق.م.	٢٠٥	بطليموس الخامس
الإسكندرية	١٧٠ ق.م.	١٨٠	بطليموس السادس
الإسكندرية	١٦٤ ق.م.	١٧٠	بطليموس السادس و بطليموس الثامن
الإسكندرية	١٦٣ ق.م.	١٦٤	بطليموس الثامن
الإسكندرية	١٤٥ ق.م.	١٦٣	بطليموس السادس
الإسكندرية	١٤٥ ق.م.	١٤٥	بطليموس السابع
الإسكندرية	١٣٠ ق.م.	١٤٥	بطليموس الثامن
الإسكندرية	١٢٨ ق.م.	١٣٠	كليوباترا الثانية
الإسكندرية	١١٦ ق.م.	١٢٨	بطليموس الثامن
الإسكندرية	١٠٧ ق.م.	١١٦	كليوباترا الثالثة و بطليموس التاسع
الإسكندرية	١٠١ ق.م.	١٠٧	كليوباترا الثالثة و بطليموس العاشر
الإسكندرية	٨٨ ق.م.	١٠١	بطليموس العاشر
الإسكندرية	٨١ ق.م.	٨٨	بطليموس التاسع
الإسكندرية	٨٠ ق.م.	٨١	بطليموس الحادي عشر
الإسكندرية	٥٨ ق.م.	٨٠	بطليموس الثاني عشر
الإسكندرية	٥٥ ق.م.	٥٨	برنيقة الرابعة
الإسكندرية	٥١ ق.م.	٥٥	بطليموس الثاني عشر
الإسكندرية	٢٠ ق.م.	٥١	كليوباترا السابعة

كان آخر ما ماحدثتكم عنه من رحلاتي هي تلك الرحلة التي زرت فيها بلادكم فى عهد الإمبراطور مارك أوريليوس والتي شاهدت خلالها تحطم موجات ثورة المصريين بقيادة الكاهن أزيدور الواحدة من بعد الأخرى على صخور القوة الرومانية، ولم يطل مقامي بمصر بعد انحصار ثورتها طويلاً، إذ سرعان ما رحلت وأوصل عملي متنقلاً ما بين ولايات الإمبراطورية الرومانية يزيدي كل ما أستمع إليه أو يقع عليه بصرى فى هذه الولايات إحساساً بمدى سوء أحوالها فى الوقت الذى انشغلت فيه روما بالأخطار التى صارت تهدد أمن حدودها فى الخارج والاضطرابات وعدم الاستقرار الذى أمسى سمة مميزة لإدارة شئونها فى الداخل، وبعدما انتهيت من طوافي بجميع ولايات الإمبراطورية، وبينما كنت فى طريقى مرتحلاً صوب جنوبى القارة الأفريقية استقر عزمى على المرور

ببلادكم، فكانت عودتى إليها عام ٢٥٠.

وفى الإسكندرية هذه المدينة الجميلة المتزينة دائماً بصخب الحياة وفتوة النشاط والحركة، كان عثورى على صديقى المصرى نيل الذى ما إن نظرت إلى وجهه حتى أخبرنى ذلك الحزن الذى يطل من عينيه بنوع ما يحمله إلى هذه المرة من أخبار.

وإلى شاطئ المتوسط أسرع وأصطحب نيلاً لنجلس معاً فى ساحة الفئار قبل أن أتوجه إليه قائلاً: لقد مررت على آخر لقاء لنا ما يقرب من ثمانية وسبعين عاماً، لابد وأن تكون قد حملت لبلادكم الكثير من التغيرات.

فقال: أجل يا أبتى، لقد حدثت عدة تغيرات مهمة، لكن الشئ الذى لم يتغير هو أننا لم نزل نحيا تحت حكم روما.

فقلت له: أعلم أنكم ما تزالون تعانيون من الاحتلال الرومانى يانيل، ولكننى لا أعلم شيئاً عما جرى فى بلادكم منذ



فَشَلَّ ثَوْرَتَهَا
فِي عَهْدِ مَارِكِ
أُورِيلْيُوسِ.

فَقَالَ : لَقَدْ
تَمَكَّنَ أَفِيدْيُوسُ
كَاسْيُوسُ قَائِدُ
الْكَتَائِبِ
الرُّومَانِيَةِ فِي
سُورِيَا مِنْ
مُحَاصِرَةِ
الثَّوَارِ وَالْبُقَضَاءِ
عَلَى خَطَرِهِمْ،
وَلَكِنْ رُومَا مَا
كَادَتْ تَطْمَئِنُّ
إِلَى اسْتِعَادَةِ
إِحْكَامِ قَبْضَتِهَا
عَلَى بِلَادِنَا،

حَتَّى رَاحَتْ

رَسْمٌ مَلُونٌ عَلَى الْحَجَرِ .. الْقَرْنُ الثَّالِثُ عَشَرَ

تَوَاجَهَ فِيهَا خَطَرًا جَدِيدًا يَفُوقُ خَطَرَ
الثَّوْرَةِ إِذْ إِنْ مَصْدَرُهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ
قَائِدَ كَتَائِبِهَا كَاسْيُوسُ الَّذِي رَأَى فِيهَا
حَقَّقَهُ مِنْ نَجَاحٍ وَمَا تَجَمَّعَ لَدَيْهِ مِنْ
قُوَّةٍ وَسُلْطَانٍ فَرَصَةً سَاحِقَةً
لِلانْقِضَاضِ عَلَى عَرْشِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ،
فَمَا لَبِثَ أَنْ أَعْلَنَ تَمَرُّدَهُ عَلَى حُكْمِ
مَارِكِ أُورِيلْيُوسِ مُعْتَمِدًا عَلَى مَسَانِدَةِ

وتأييد أغلب الولايات الشرقية وعلى رأسها مصر التي بايعه جيشها وناصره الكثيرون من أهلها وخاصة الإسكندريين، وما هي إلا بضعة أشهر من الاضطرابات والفوضى طويت بعدها صفحة ذلك التمرد بمقتل كاسيوس على يد أحد ضباط جيشه. فقلت له: وكيف تصرف مارك أوريليوس مع من ناصروا كاسيوس في مصر؟

فقال: إن ما فعله ذلك الإمبراطور في مواجهة من ناصروا تمرد كاسيوس يعد بحق دليلاً واضحاً على حسن سياسته وسعة عفوه وحكمته، فهو حينما جاء إلى الإسكندرية في أعقاب فشل التمرد اكتفى بعزل الوالي ونفيه خارج البلاد، مظهرًا العفو لأفراد أسرة كاسيوس وجموع الإسكندريين والجنود الرومانيين الذين بايعوا خصمه أو بذلوا له التأييد والمساندة

فقلت له: لقد كان مارك أوريليوس واحداً من أفضل من جلسوا على

عرش روما.

فقال: أجل، ولكن ما إن جاء عام ١٨٠ حتى توفى مارك أوريليوس ليخلفه كومودوس في الجلوس على عرش الإمبراطورية لاثنتي عشر عاماً بدأها باللجوء إلى العنف وإثارة الأحقاد، فتعقب أفراد أسرة كاسيوس وقضى عليهم جميعاً، كما أنه لم ينس أيضاً في غمرة قسوته وحبه للانتقام أن ينصب للإسكندريين محاكمات سريعة قتل على أثرها عدد كبير منهم، وهكذا استمر عهد ذلك الإمبراطور سلسلة متصلة من العنف والاضطهاد، فكان ما ألحقه بالمصريين من أضرار جسام سبباً لتزمر جموعهم وتكتلهم في مواجهة حماقاته صفاً واحداً، حتى أن رجال الحكم في روما أسرعوا يعدون المزيد من سفن النقل الضخمة تحسباً لاستخدامها في استيراد الحبوب الغذائية إذا ما اندلعت الثورة في بلاد الفراعنة ونقطع ما ترسله إليهم من غلال الجزية.

فقلتُ له: ولكن تزمركم من حكم كومودوس وتكتلكم في مواجهته لم يصل إلى حد اندلاع الثورة، أليس كذلك؟

فقال : بلى، ففي عام ١٩٢ قُتل كومودوس وجلس الإمبراطور برتيناكى على العرش، فلم يدم حكمه سوى ثلاثة أشهر انتهت بمصرعه، لتعم الفوضى أرجاء الإمبراطورية وتتصارع الجيوش الرومانية حول مجموعة من قادة كتائبها وفرقها الساعين إلى الفوز بالعرش، ولما برز من هؤلاء القادة سبتيوس في الغرب ونيجير حاكم سوريا في الشرق، أسرعَت مصرُ تناصر حاكم سوريا الذى بايعه جيش الإسكندرية وكُتبت باسمه وثائق الإدارة في جميع أرجاء البلاد، ولكن سرعان ما تكشف الصراع عن تفوق سبتيوس وانفراده آخر الأمر بحكم الإمبراطورية.

فقلتُ له: لقد كثرت في هذه الفترة الانقسامات والاضطرابات وتعددت

الصراعات حول العرش في روما وأدت جيوش الإمبراطورية في الشرق والغرب على حد سواء دوراً بارزاً في هذه الصراعات يعينون الأباطرة تارة ويعزلونهم أو يقتلونهم تارة أخرى، وقد لاحظت أنكم في مصر دائماً ما كنتم تقفون إلى جانب كل مدعٍ للعرش أو مطالب به.

فقال: إن طول معاناتنا من تسلط روما على شئون بلدنا جعلتنا أقرب إلى مناصرة كل من يقف في وجه إمبراطورها، ولم يكن هذا شأن مصر وحدها، بل كان شأن جميع الولايات الشرقية، لذلك رأيتنا نناصرُ تمرد كاسيوس بالرغم من دوره البارز في قمع ثورتنا، ولنفس السبب قمنا بتأييد نيجير حاكم سوريا في صراعه مع سبتيوس عقب مقتل الإمبراطور بيتناكى.

فقلت له: حسناً يانيل، فما الذى حدث بعد أن انفرد سبتيوس بحكم الإمبراطورية؟

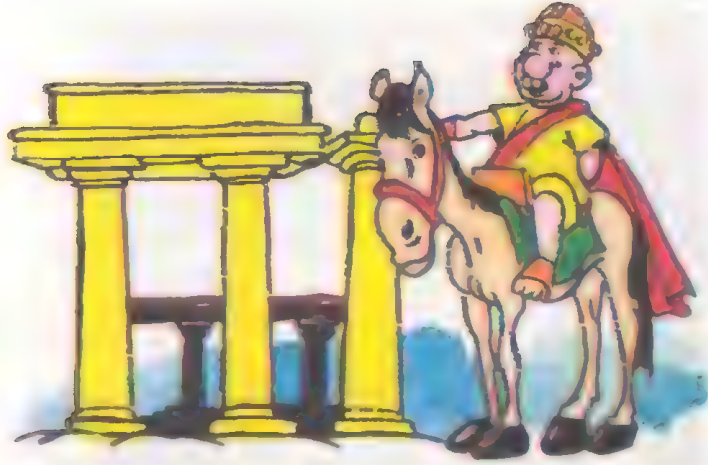


إحدى مقابر الرومان في الإسكندرية

فقال:
استمر
سبتميوس في
الحكم نحو
ثمانية عشر
عاما، وقد قام
خلال عام
حكمه السابع
بزيارة مصر،
حيث حرص
على اتباع
نفس التقليد
الذي اتبعه
الباطرة
السابقون في
زياراتهم لمصر،
فبادر بالسياحة
في نهرها

البلاد من سوء ولس بنفسه كيف
تدهورت شئون الزراعة، وكيف
أصبحت الإدارة الرومانية في مقاطعات
مصر المختلفة بالعجز التام مما جعله

لمشاهدة ما خلفه الفراعنة على ضفافه
من آثار حضارية جلية، وحينما
شارفت سياحته على الانتهاء كان قد
شاهد أيضا ما وصلت إليه أحوال



يَتَّخِذُ عَلَى الْفَوْرِ قَرَارًا بِإِنْشَاءِ
مَجَالِسَ تَشْرِيعِيَّةٍ فِي الإسْكَندَرِيَّةِ
وَكافَّةِ عَوَاصِمِ المَقَاطِعَاتِ لِيَحْمَلَ
مَنْ يَتَوَلَّوْنَ عَضْوِيَّةَ هَذِهِ المَجَالِسِ
مِنَ المَصْرِيِّينَ بَعْضَ العِبَاءِ عَنِ
مَوْظَفِي الإِدَارَةِ الرُّومَانِيَّةِ
الْمُتَدَهِّرَةِ، فَكَانَ إِنْشَاءُ سِبْتِمْيُوسِ

لِهَذِهِ المَجَالِسِ أَكْبَرَ تَعْدِيلٍ يَدْخُلُ عَلَى
نَظْمِ الإِدَارَةِ الرُّومَانِيَّةِ الَّتِي وَضَعَ
أُكْتَاْفْيُوسُ قَوَاعِدَهَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ
مِائَتَيْ عَامٍ، وَأَوَّلَ خُطْوَةٍ عَلَى طَرِيقِ
مُحَاوَلَةِ إِصْلَاحِ أَحْوَالِ البِلَادِ مَا لَبِثَتْ
أَنْ أَعْقَبَتْهَا خُطْوَةٌ أُخْرَى عَلَى جَانِبٍ
كَبِيرٍ مِنَ الأَمَمِيَّةِ فِي عَهْدِ خَلِيفَتِهِ
كَارَاكَلَا.

فَقُلْتُ لَهُ: أَتَقْصِدُ بِالْخُطْوَةِ الأُخْرَى
ذَلِكَ القَانُونِ الَّذِي أُصْدَرَهُ كَارَاكَلَا فِي
عَامِ حُكْمِهِ السَّابِعِ؟

فَقَالَ: أَجَلٌ يَا أَبَتِي، فَقَدْ أُصْدِرَ
كَارَاكَلَا فِي ذَلِكَ العَامِ قَانُونًا يَقْضِي
بِمَنْحِ جَمِيعِ سَكَانِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ فِي
كَافَةِ وِلَايَاتِهَا حَقَّ المَوَاطِنَةِ الرُّومَانِيَّةِ،

لِيَفْقَدَ بِذَلِكَ الرُّومَانِيُّونَ وَالْإِسْكَندَرِيُّونَ
مَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ تَمْيِيزٍ رَسْمِيٍّ
عَنِ سَائِرِ جَمِيعِ الشَّعْبِ المَصْرِيِّ فِي
الْقُرَى وَالمَدَنِ وَالمَقَاطِعَاتِ، وَلِيَصِيرَ
الْجَمِيعُ فِي نَظَرِ القَانُونِ الرُّومَانِيِّ فِي
مَرْتَبَةِ وَاحِدَةٍ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا يَتَمَتَّعُ بِهِ
سَكَانُ رُومَا مِنْ حَقُوقٍ، وَفِي عَامِ ٢١٥
قَامَ كَارَاكَلَا بِزِيَارَةِ مِصْرَ مُتَوَقِّعًا أَنْ
نَسْتَقْبِلَهُ بِالْتِرْحِيبِ وَالحَفَاوَةِ اعْتِرَافًا مِنَّا
بِفَضْلِهِ، وَلَكِنْ مَا حَدَثَ لَهُ فِي
الْإِسْكَندَرِيَّةِ كَانَ عَكْسَ مَا تَوَقَّعَ تَمَامًا.
فَقُلْتُ لَهُ: وَلِمَذَا لَمْ تَحْسِنُوا اسْتِقْبَالَه
وَقَدْ اسْتَفْدْتُمْ دُونَ شَكٍّ مِنْ قَانُونِهِ
أَعْظَمَ اسْتِفَادَةٍ؟

فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ قَانُونُ المَوَاطِنَةِ

بالنسبة للإسكندريين كارثةً سلبتْهم ما ظلُّوا يتمتعون به من امتيازاتٍ منذُ عهدِ البطالمة، أمَّا بقيةُ الشعبِ المصريِّ فكانت تعترُّ بمصريَّتِها وانتسابِها إلى جذورها الفرعونية اعتزازاً لا ترضى معه الانتسابُ إلى وطنٍ آخر، كما أنها قَطِنَتْ إلى أن التغييرَ الذي سيُحدثُهُ هذا القانونُ في حياتِها الاجتماعية لن يتعدى كونه تغييراً شكلياً فتبقى معاناتُها وتمتُّعُ الإسكندريين والرومانيين بالنفوذِ والثروة ما بقى الاحتلالُ الرومانيُّ، لذلك ما إن وطأت قدما كاراكلا أرضَ الإسكندرية حتى قُوبِلَ باستهزاءٍ شعبيٍّ وسخريَّةٍ اللاذعة، مما جعله يقتصرُ من الإسكندريين بإطلاقٍ جيشه بالتدمير والتخريب في أرجاءِ مدينتِهم كما قام بطردِ جموعِ المصريين الذين كانوا قد قَرُّوا إليها من قراهم ومدنِهم هرباً من فداحةٍ ما يُقدَّرُ عليهم من ضرائبٍ وما يفرضُ عليهم من أعمالٍ إجباريةٍ، ولم يبقَ منهم إلا من كان له عملٌ أساسيٌّ

فيها.

فقلتُ له: لم يستمرَّ جلوسُ كاراكلا علي عرشِ روما سوى ستةِ أعوامٍ سرعانَ ما دخلت بعدها الإمبراطوريةُ في طورٍ جديدٍ من أطوارِ الضعفِ والفضي، حيث تعددت المؤامراتُ وتتابعَت الانقاساماتُ وصارت الحروبُ الداخليةُ بكلِّ ما تحمله من تدميرٍ عملاً معتاداً في أغلبِ أرجائها، فما الدورُ الذي أدَّتْه بلادُكم في أحداثِ هذه الفترةِ يانيلُ؟

فقال: بعد موتِ كاراكلا نشأ خلافٌ حادٌ بين خليفَتِهِ ماركينوس وهليوجبالوس الذي ادَّعى بُنُوتهُ لكاراكلا مطالباً بحقه في وراثةِ العرشِ، وبينما ناصرَ الجيشُ الرومانيُّ في الإسكندرية هليوجبالوس وقف الإسكندريون إلى جانب ماركينوس لتتعرَّضَ المدينةُ نتيجةً ما اشتعلَ بين الفريقين من معاركٍ إلى التدميرِ من جديدٍ.

فقلتُ له: لقد حُسِمَ هذا الخلافُ



تمثال حجرى لأحد الرعاة
فى مصر الرومانية

لصالح هليوجبالوس، أليس كذلك؟
فقال: بلى، لقد حَسَمَ هليوجبالوسُ
الخلافاً وانفردَ بالجلوسِ على عرشِ
الإمبراطوريةِ حتى عام ٢٢٢، ومن
بعدهِ تولَّى سفيروس الحكمَ فقام فى
عام حكمه السابعِ بزيارةِ مصرَ
محاولاً استكمالَ خططِ الإصلاحِ
للنهوضِ بالبلادِ من عثرتهاِ المتلاحقةِ،
لكنْ تَفَشَّى الانقساماتِ والمؤامراتِ
من حولهِ لم يكُ ليتيحَ له فرصةَ العملِ
الجادِّ المستمرِّ.

فقلتُ له: حقاً، فقد ذهب سفيروس
نفسه ضحيةً لهذه المؤامراتِ حيث
قتله بعضُ جنوده فى عام ٢٢٥.

فقال: وبعد مقتلِ سفيروس تتابعُ
الأباطرةُ على عرشِ روما لايكادُ
يستقرُّ أحدهم فى الجلوسِ عليه حتى
يتبعه آخرُ، وفى وسطِ كلِّ هذه
الاضطراباتِ لم يكن لبلادنا دورُ بارزٍ
فيما يجرى، وكذلك وقف تائرها به
عندَ تغييرِ اسمِ الإمبراطورِ فى وثائقها
الرسمية بل كثيراً ما أغفلت هذه

الوثائق ذكرَ بعضَ الأباطرةِ لقصرِ
فتراتِ حكمِهِمْ.

فقلتُ له: لقد تنقَّلَ عرشُ
الإمبراطوريةِ فى مدةٍ زمنيةٍ لم تتجاوزِ
الأربعةَ عشرَ عاماً بينَ عدةِ أباطرةٍ
أذكرُ منهمَ ماكسيمينوسَ وفيليبَ
وجورديانوسَ قبلَ أن يصلَ فى آخرِ
الأمْرِ إلى ديكْيوسَ الإمبراطورِ
الحالى.

فقال: معَ أننا لم نتجاوزَ بعدُ العامَ
الثانىَ لحكمِ ديكْيوسَ، إلا أن ذلكَ
الإمبراطورَ قد ملأَ قلوبنا بغُضاً له
باضطهادِهِ الشدیدِ لكلِّ من اعتنقَ
المسيحيةَ فى مصرَ وخارجها.

فقلتُ له: لقد تعاظَمَ شأنُ المسيحيةِ
فى الآونةِ الأخيرةِ وانتشرَ أتباعُها فى
كلِّ ولاياتِ الإمبراطوريةِ شرقاً وغرباً،
فهل جذبتَ هذهَ العقيدةَ إليها الكثيرينَ
فى مصرَ؟ وكيف ومتى كان دخولُها
وانتشارُها فى بلادِكُمْ؟

فقال: فى ظلِّ الترابطِ الذى أوجدتهِ
وحدةُ جميعِ أقاليمِ البحرِ المتوسطِ

تحتَ رايةِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ، لم
يك من العسيرِ انتقالُ الأفكارِ والعقائدِ
على طولِ سواحلِ هذا البحرِ بنفسِ
السرعةِ التى تتدفَّقُ بها التجارةُ أو
تنتقلُ بها كتائبُ الجندِ، وبهذهِ الطريقةِ
انتقلتِ تعاليمُ المسيحِ ومبادئُ عقيدتهِ
من أرضِ فلسطينَ إلى مصرَ فى
منتصفِ القرنِ الأولِ الميلادى، ومعَ أن
انتشارَ هذهِ التعاليمِ وتلكِ المبادئِ بينَ
جموعِ المصريينَ كانَ ضعيفاً خافتاً
فى بدايةِ الأمرِ إلا أن المسيحيةَ
استطاعتْ معَ مرورِ الأيامِ والشهورِ
والأعوامِ أن تجذبَ إليها الكثيرينَ منهمِ
فى شتى أرجاءِ الدلتا والوادي، حتى
أن الإسكندريةَ اليومَ أصبحتْ من أهمِّ
مراكزِ هذهِ العقيدةِ فى العالمِ أجمعٍ.

فقلتُ له: وكيف تخلى المصريونَ عن
عقائدهِمُ التى ظلُّوا يرثونها عن آبائِهِمْ
وأجدادِهِمْ جيلاً من بعدِ جيلٍ منذُ أكثرَ
من خمسةِ آلافِ عامٍ؟

فقال: لقد استقبلتْ بلادُنا المسيحَ
طفلاً صغيراً بالبشرِ والترحيبِ ليجدَ



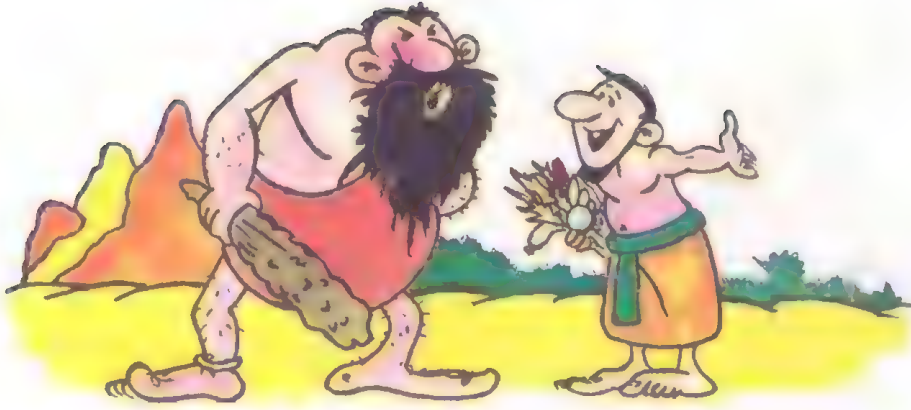
هو والعذراء في ربوعها
ملاذاً آمناً بعدما
واجهتهما أرض
فلسطين بالمتاعب
والعثرات، وكما وجد
المسيح في مصر الملاذ
الآمن وجدت تعاليمه
ومبادئه في المصريين
روح اللين والسماحة،
فقبل دخول المسيحية
إلى بلاد الفراعنة كان
المصريون ما يزالون
على عقيدة آبائهم
وأجدادهم يقدسون
سرابيس أو أتون أو
أوزيريس وإيزيس
وحورس، بل إن هذه

الرموز كانت قد انتشرت

رمز المسيحية مطبوعاً على أحد أعمدة
المعابد الفرعونية .. فيلة

المسيحية وجدت بين المصريين مَنْ
ينجذب إلى مبادئها ويؤمن بتعاليمها
متخلياً عن عقائد آبائهم وأجدادهم
ومدافعاً عن عقيدته الجديدة بكل ما

في الكثير من ولايات ومدن
الإمبراطورية وفي مقدمتها روما، حيث
أنشئت لإيزيس المعابد وقُدِّمَتْ لها
القربان، وعلى هذه الحالة جاءت



يملكه من قوة،
فى نفس الوقت
الذى وقفت فيه
روما فى وجه
المسيحية وأتباعها
برغم كل ما عرف

الاضطهاد إلى الذروة.

فقال: لقد عاش المسيحيون فى
مصرَ ينشرون دعوتهم ويمارسون
طقوسها بالرغم من كل المضايقات
التي تعرضوا لها فى عهد الأباطرة
السابقين، ولكن ديكيوس يأمرهم اليوم
بالتخلي تماما عن عقيدتهم ويتوعد من
يرفض منهم تنفيذ أمره بالتعذيب حتى
القتل.

فقلت له: وهل أذن المسيحيون فى
مصرَ لأوامر ديكيوس؟

فقال: رفض معظمهم التخلي عن
عقيدتهم، وبينما يواجه بعض الرافضين
اضطهاد ديكيوس بثبات وعزيمة
لاتلين، اضطر بعضهم الآخر إلى
الفرار من أمام بطش الجنود

عنها من عدم التعرض لعقائد
ومقدسات الشعوب التي انضمت إلى
إمبراطوريتها الشاسعة.

فقلت له: لاعجب فى وقوف روما
ضد انتشار المسيحية مع كل ما عرف
عنها من تسامح تجاه جميع العقائد
الأخرى، فإن كانت روما قد تسامحت
مع هذه العقائد فذلك لأنها لم تك تمثل
خطراً واضحاً على ملكها ومستقبل
إمبراطوريتها، بل إن أكثرها يهب
الحاكم أو الإمبراطور القداسة
والتبجيل اللذين لا ترضى بهما
المسيحية، وهذا هو ما جعل الأباطرة
يتعقبون أتباعها بالاضطهاد منذ
ظهورها واحداً من بعد آخر، حتى إذا
ما جاء ديكيوس وصل بذلك

الرومانين. الصحرَاءِ، وهذا هو ما يفعله
المسيحيون اليوم.

فقلتُ له: وهل تعلمُ شيئاً عن
الأمَاكنِ التي فرُّوا إليها؟

فقال: بالطبع، فقد قمتُ في الأيام
الماضية بزيارة بعض هذه الأمَاكنِ في
الدلتا لتقديم كلِّ ما أستطيعُ من
مساعدة، كما أنني كنتُ قد عَزمتُ قبل
مجيئِكَ مباشرةً على الذهابِ إلى

الرومانين. فقلتُ له: وإلى أين كان فرارُهم
يانيل؟

فقال: منذُ أن قُدِّرَ على بلادنا أن
تُعاني من تعسفِ الولاةِ الرومانيين في
تقديرِ ما يفرضونه علينا من ضرائب،
اعتادَ من يعجزُ منا عن سدادِ ما يُقدَّرُ
عليه الفرارَ خشيةً العقابِ إلى
مستنقعاتِ الدلتا أو دروبِ وكهوفِ



إيزيس وحورس.. نقش على جدران معابد فيلة

شمال الوادى حيث علمت بوجود
بعض منهم فى صحرائها.

فقلت له: حسناً، فسأصحبك إذن
إلى صحراء الوادى.

ولم نضع المزيد من الوقت، إذ
سرعان ما تركنا الإسكندرية قاصدين
النهر حيث سعدنا على صفحته إلى
شمال الوادى، ومن هناك وصلنا
طريقنا متجهين صوب الصحراء
الشرقية، وبين جبال الصحراء وتلالها
المتشابهة ضللنا الطريق لأظلم ثلاثة
أيام كاملة سائراً خلف نيل الذى لم
يدع أمامى بإصراره العجيب على
مواصلة البحث والتعمق فى دروب
الصحراء فرصة للتفكير فى أى شىء
آخر غير اتباعه على الرغم من كل ما
نلاقه وسط رمال هذه الصحراء
الموحشة من متاعب، وفى اللحظة التى
كدت أسقط فيها من شدة الوهن
والإعياء، وقع بصرى على قافلة تضم
عدداً كبيراً من المصريين الذين علمت
حينما اقتربت منهم أنهم ممن يعملون

فى المناجم القريبة من البحر الأحمر
وقد سلكوا دروب الصحراء عائدين
إلى منازلهم فى الوادى لقضاء إجازة
قصيرة، سرعان ما يعودون بعدها
لاستئناف أعمالهم، وبينما رفض نيل
الانضمام إليهم مصراً على مواصلة
بحثه، أسرع من فورى أمتطى أحد
دوابهم سعيداً بالعثور على من
سيخرجنى من هذه الصحراء التى لا
أول لها ولا آخر، وفى طريق العودة ما
إن تمكنت من استرداد أنفاسى حتى
وجدتنى أقترُب من أحد هؤلاء العمال
متسائلاً: ألم يتأثر عملكم فى المناجم
بما لحق بالإمبراطورية الرومانية من
تدهور فى الفترة الأخيرة؟

فقال: شأن جميع الصناعات فى
مصر تأثر عملنا فى المناجم
بالاضطرابات التى تلاحقت تصيب
قوة الإمبراطورية وحدثها بالوهن
والتفكك، ولكن ذلك لا يجعلنا ننكر أن
الصناعة فى بلادنا قد أحرزت فى
فترات استقرار الإمبراطورية وقوتها



واجهة الكنيسة المعلقة بمصر القديمة

نهوضاً وازدهاراً فاق
ما كانت عليه في
العصر البطلمي، لأن
الباطرة كانوا
يدركون تماماً أن
الجزء الأعظم من
ثمار هذا الازدهار
سيذهب في نهاية
الأمير إلى خزائن
روما فلم يدخروا
جهداً في العمل على
تهيئة المناخ الملائم
لتحقيقه واهبين
الحياة الصناعية في
بلاد الفراعنة الحرية
التي كان قد قيدها

البردى في أيدي المصريين دون أي
تدخل مباشر منهم.
فقلت له: أتعنى حقاً ازدهار
الصناعة في بلادكم تحت الاحتلال
الروماني؟!
فقال: هذا هو ما حدث بالفعل،

البطالة باحتكارهم لأكثر روافد الإنتاج
الصناعي، فبينما ظل العمل في
المحاجر قاصراً على الدولة كعهده
دائماً منذ العصر الفرعوني، ترك
الرومانيون الكثير من الصناعات
المهمة كصناعة الزيت وصناعة أوراق

فالحريّة التي أطلقتهَا الإدارةُ الرومانيّةُ للكثير من الصناعاتِ التي كانت في الماضي احتكاراً خالصاً للحكومة البطلمية، والهدوء والاستقرارُ الذي خيمَ على الإمبراطوريةِ فتراتٍ طويلةً في أول عهدِها بالإضافةِ إلى موقعِ مصرَ الفريدِ بين الأقاليمِ الواقعةِ تحتَ الحكمِ الروماني، كلُّ ذلك ساعد على استغلالِ ما تمتازُ به بلادنا من كثرةِ المواردِ ومهارةِ الصُّنَّاعِ استغلالاً أدّى إلى نهوضِ الصناعةِ فيها على نحوٍ لم تشهدهُ من قبلُ حتى أن الإسكندريةَ صارت أكبرَ مركزٍ صناعيٍّ في الإمبراطوريةِ الرومانيّةِ بأسرها.

فقلتُ له: وما أهمُّ الصناعاتِ المصريّةِ التي حدثَ فيها تطوُّرٌ ملموسٌ في العهدِ الروماني؟

فقال: لقد حَدَّثَ التطوُّرُ في صناعاتٍ كثيرةٍ على رأسِها صناعةُ الزيتِ وصناعةُ الزجاجِ التي برعَ فيها أجدادُنا منذُ عهدِ الفراعنةِ واستمروا محافظين على ريادةِهم ومهارتهم فيها

طوالَ العهودِ التاليةِ، وفي العهدِ الروماني ازداد انتشارُ هذه الصناعةِ وتطورت أساليبُ إنتاجِها لتصنَعُ أيدي الصنَّاعِ المصريين من الآنيةِ الزجاجيةِ بأشكالِها وألوانِها المختلفةِ ما يحوزُ رضا وإعجابَ الكثيرين في شتى بقاعِ العالمِ، وفي صناعةِ أوراقِ البرديِ حافظت بلادنا تحتَ حكمِ أباطرةِ روما على احتكارِها لهذه الصناعةِ المهمةِ وتابعت تطويرَها والتجويدَ فيها، أما صناعةُ النسيجِ فقد نالت من التفوُّقِ والتحسينِ ما جعلها تصدرُ إنتاجَها بكمياتٍ وفيرةٍ إلى الأسواقِ الشرقيّةِ في بلادِ الهندِ وبلادِ العربِ علاوةً على أسواقِ الإمبراطوريةِ في الغربِ والشمالِ، بعدما رأى الرومانيون في جودةِ إنتاجِها وعظمِ انتشارِ مصانعِها على طولِ الوادي والدلتا فرصةً لتنميتها إلى الحدِّ الذي تفي معه بحاجاتِ جيوشِهم الضخمةِ إلى كمياتٍ وفيرةٍ من الملابسِ، وإلى جانبِ هذه الصناعاتِ الرئيسيّةِ أدّى تطوُّرُ



قطعة من النسيج المصري
في العصر الروماني

الحركة التجارية في الإسكندرية إلى وجود عدة صناعات أخرى اكتسبت أهميتها وازداد ازدهارها في العصر الروماني، كصناعة التوابل والعطور التي تقوم باستيرادها من الشرق لصناعتها قبل إعادة تصديرها إلى دول الغرب والشمال.

وطال بي الحديث مع ذلك العامل المصري حتى إذا ما وصلت بي القافلة إلى مشارف الوادي أخذت طريقى تاركاً أرض مصر لأبدأ إحدى رحلاتى الأفريقية الطويلة، وطوال واحد وعشرين عاماً تجولت فيها بين أوطان أفريقيا وبولها لم تنقطع عنى أخبار الإمبراطورية الرومانية، حيث علمت كيف استمرت الاضطرابات تزداد في أرضها يوماً من بعد آخر، وكيف أدنى بها الضعف وكثرة المنازعات حول العرش إلى اجتراء بعض ولاياتها على الخروج عن حكمها، والوقوف في وجهها أيضاً وعلى رأس تلك الولايات كانت تدمر هذه الإمارة الصغيرة

الواقعة على الطريق ما بين بابل وسوريا والتي لم يك لها أى شأن يذكر قبل القرن الأول الميلادى، إذ لم يستغرق تحولها من مجرد إمارة صحراوية صغيرة إلى دولة ثرية وقوة عسكرية استطاعت أن تدخل مع الإمبراطورية الرومانية في صراع



عنيفٍ سوى
فترةٍ زمنيةٍ لم
تتعدَّ ثلاثة
قُرُونٍ، وقد
ساعدَها على
ذلك ما تجمعَ
لديها من

الثرواتِ ضخمةٍ عن طريقِ تحكُّمِها في
نقلِ التجارةِ ما بين الشرقِ الأقصى
وبابلٍ من ناحيةٍ وسواحلِ سوريا
ولبنانٍ من ناحيةٍ أخرى، علاوةً على
منافستها للإسكندريةِ في تجارةِ البحرِ
الأحمرِ، وقد دخلت هذه الإمارةُ
التجاريةُ الصغيرةُ في سلطانِ روما في
عهدِ الإمبراطورِ تiberius، لكنها
عُومِلَتْ معاملةً خاصةً أتاحَتْ لها أن
يتولَّى أهلُها شئونَ حكمِها الداخليةِ،
وفي خلالِ هذا القرنِ استطاع
أدويناتُ أحدُ من تولَّوا حكمَ تدمُرَ في
ظلِّ السيادةِ الرومانيةِ أن يستغلَّ
ثرواتِ بلادهِ الطائلةَ في تكوينِ جيشٍ
على درجةٍ عاليةٍ من القوةِ وحسنِ

التدريبِ، ويفضلِ ذلكَ الجيشِ القويَّ
تمكَّنَ حاكمُ تدمُرَ من أن يؤدِّي دوراً
فعالاً في الصراعِ الدائمِ حولَ عرشِ
روما أهلهُ إلى أن يُعيَّنَ قائداً عاماً
لجميعِ جيوشِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ
في الشرقِ، ولما توفَّى أدويناتُ آلَ
عرشِ إمارتِهِ إلى ابنِهِ الصغيرِ وهَبَ
اللاتُ تحتَ وصايةِ زوجتهِ الملكةِ
زينوبيا التي لم تكتفِ بما حقَّقَهُ زوجها
الراحلُ لبلادِها من مكانةٍ وما تجمعَ
لها في عهدِهِ من ثرواتٍ وإنما دفعها
طموحُها الشديدُ إلى محاولةِ التوسعِ
بملكِها على حسابِ روما ليقودَها ذلكَ
إلى الوقوفِ في وجهِ الإمبراطوريةِ
والاصطدامِ بجيوشِها، ولكي أتعرفَ



جانب من إحدى قاعات الكنيسة المعلقة

على كيفية حدوث
ذلك الصدام وأعلم
كل ما تَكشَّف عنه
من نتائج، كان على
أن أتوجه من فوري
إلى تدمر، وفي
طريقي إليها كان
مروري بمصر عام
٢٧١ حيث لم
أستطع تجاوز
أرضها دون مقابلة
نيل والاستفسار منه

عمّا حدث لبلادكم طوال الأعوام
السابقة، وبالفعل تمكنت بعد رحلة
بحث قصيرة من العثور عليه في
الإسكندرية لأتوجه إليه متسائلاً: ما
الذي جرى في بلادكم خلال الواحد
والعشرين عاماً الماضية يا نيل؟

فقال: لم يستمر جلوس ديكْيوس
على العرش سوى ثلاثة أعوام، لكن
فترة حكم ذلك الإمبراطور على
ضالّتها كانت محنة قاسية لكل أتباع

المسيحية في مصر وسائر ولايات
الإمبراطورية الرومانية، ومنذ وفاة
ديكيوس وحتى عام ٢٦٨ عاشت
بلادنا في فلك الاضطرابات التي
اجتاحَت روما بعدما كثُرَ التنازع حول
عرشها، ومن أهم أحداث هذه الفترة
وقوف المصريين وجيش الإسكندرية
إلى جانب الوالي الروماني إميليانوس
في صراعه مع بعض أدياء العرش
في روما، بعدما نصب من نفسه



جندي روماني يقدم بتعذيب احد المسيحيين المصريين

إمبراطوراً للبلاد، ولكن سرعان ما
انهزم إيمليانوس ليسقط من القتلى
المصريين في غمرة هزيمته ما يفوق
نصف عدد سكان الإسكندرية ضحية
لهذه الأحداث المتسارعة المضطربة،
حتى إذا ما جاء عام ٢٦٩ أرسلت



أحد الأديرة المسيحية في أسوان

كبار قادته على رأس جيش آخر إلى مصر، ومنذ بضعة أسابيع تمكن الرومانيون من إتمام انتصارهم على التدمريين ليستعيدوا حكم بلادنا من جديد، كما أن الأخبار قد جاءت إلينا تحمل نبأ انتصار أوريليان على جيوش الملكة زينوبيا وأسر هذه الملكة التي حملها معه إلى روما لكي يقوم

الملكة زينوبيا جيوشها لغزو مصر، حيث استطاعت هذه الجيوش بعد قضائها على الحامية الرومانية احتلال البلاد.

فقلت له: وهل استمر احتلال تدمر لبلادكم وقتاً طويلاً؟

فقال: في عام ٢٧٠ تمكن أوريليان من الانفراد بحكم الإمبراطورية الرومانية وراح يستخدم كل ما يمتلكه من حيل سياسية لمواجهة الخطر التدمري وتمكن من أن يصل مع الملكة زينوبيا إلى اتفاق اعترف بمقتضاه بالملك وهب اللات شريكاً له في حكم مصر، ولكن الملكة زينوبيا سرعان ما نقضت الاتفاق ليكون القتال بينها وبين الإمبراطورية الرومانية هو الحل الوحيد لحسم ذلك الصراع.

فقلت له: وكيف نشب بينهما القتال؟ فقال: لقد قاد الإمبراطور أوريليان أحد جيوشه متوجهاً به إلى قلب تدمر، في نفس الوقت الذي أرسل فيه أحد

بعرضيها على مواطنيه في موكب انتصاره.

فقلت له: لقد انتهت الحروب إذن بالقضاء على تدمر وأسر ملكيتها... وصمت أفكر قليلاً ثم رحت أسأله قائلاً: ولكن ماذا عن أتباع المسيحية الذين اضطروا للفرار إلى الصحراء يانيل؟

فقال: لقد خفت حدة الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له بعد وفاة ديكوس يا أبتى، ولكنه على الرغم من عودة بعضهم إلى صخب الحياة اليومية في الدلتا والوادي، فضل البعض الآخر الاستمرار في حياة العزلة.

فقلت له متعجباً: ولماذا تراهم قد فضلوا حياة العزلة في الصحراء أو وسط المستنقعات على الحياة بين أهلهم في الدلتا والوادي؟

فقال: إنى ما زلت لا أعلم سبباً لذلك، ولكننى سأخبرك حين عودتى بكل شيء.

فقلت له: عودتك! وإلى أين تنوى الذهاب يانيل؟

فقال: لقد علمت منذ أيام قلائل موضع أحد الأماكن التي اعتزل فيها بعض أتباع المسيحية، وسأقوم بالذهاب إليهم قريباً.

وبرغم تذكري لكل ما جرى في المرة السابقة، لم أستطع إلا أن أصطحب ذلك الفتى المصرى إلى أقصى جنوب الوادي حيث اخترقنا معاً دروب الصحراء الغربية باحثين عن ذلك الموضع الذي حدثتني عنه، وما هى إلا بضع ساعات من السير المتواصل تحت أشعة الشمس الحارقة، حتى تأكدت تماماً أننا قد ضللنا الطريق، ولم يتبق من أحداث المحاولة السابقة سوى ملاقة المتاعب لعدة أيام متتالية قبل النجاة على يد هذه القافلة الصحراوية، ولكن ترى هل يُقدَّر لى أن أصادف وسط هذه الصحراء المترامية بعض عمال المناجم العائدين إلى منازلهم مرة أخرى؟!

• أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



حقوق التوزيع فى مصر والعالم محفوظة



للمكتب العربى المعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى

ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة

ت: ٢٤٢١٥٢٦

الناشر



«نيل وتاريخ»

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل، أو الترجمة، أو الاقتباس من هذه السلسلة فى أى شكل كان جزئياً، أو كلياً بدون إذن خطى من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل الدول العربية، وقد اتخذت إجراءات التسجيل والحماية فى العالم العربى بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية.

شخصيتان ملك لمنشورات الغالى وهاتان الشخصيتان مسجلتان ومحفوظتان ولايجوز استخدامهما إلا بتصريح خاص من المالك «منشورات الغالى»



مصر وآسيا	مصر والهند
مصر وفارس	مصر والدولة
مصر والبطلمية	بناء الأهرامات
مصر والإسكندرية	غروب الشمس الأهرامات
التمسار دولة البطلمية	العصر الذهبي
بين روما والإسكندرية	انتصار طيبة
مصر الرومانية	تأسيس الامبراطورية
مصر القبطية	عصر التوحيد
مصر البيزنطية	الرجاء مسيحي
مصر الإسلامية	سقوط دولة الفراعنة

الكتاب
القديم

Bibliothèque Alexandrina



0308062

مكتبة الإسكندرية

NC
2

8